التصريف

بشرح التصريف
المسمى بالمنصف

إنه كما يفهم من العنوان كتاب في علم التصريف أو علم الصرف وهذا الكتاب مؤلف من متن وشرح ، المتن للامام اللغة العربية وعلومها في عصره أبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني المتوفي سنة ٢٤٩ هـ والشرح للامام اللغة العربية وعلومها في عصره أبي الفتح عثمان ابن جني المتوفي سنة ٣٩٣ هـ وقد سمّى هذا الشرح المنصف .

من هذا الكتاب بدار الكتب المصرية بميدان احمد ماهر بالقاهرة نسختان خطيتان الأولى من كتب الامام العلامة الحافظ الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي وقد انتقلت مع كتبه الى هذه الدار بعد وفاته وهي محفوظة فيها برقم ٢ ش صرف ومكتوبة بخط مغربي دقيق ، في قراءته بعض التعسير (وهي كهذه الحجلة طولاً وعرضاً تقريباً غير أن عدد صفحاتها ٣٢٠) والنسخة الثانية من هذا الكتاب من كتب العلامة الجليل احمد تيمور باشا وانتقلت مع كتبه هي الاخرى بعد وفاته الى هذه الدار وهي محفوظة فيها برقم ٦٥ صرف تيمور وهي منقولة عن النسخة الأولى بخط نسخ واضح (وهي كهذه الحجلة طولاً وعرضاً غير أن عدد صفحاتها ٧٨٠ صفحة)

وكل من النسختين أربعة أجزاء الجزآن الأول والثاني في النسختين اشتملا على المتن والشرح جميعاً واستوفياه ، والجزء الثالث فيهما فيه تفسير المشكل من الكلمات التي أوردها أبو عثمان المازني في المتن ، والجزء الرابع فيهما فيه تفسير مشكلات التصريف التي أوردها أبو الفتح عثمان بن جني في الشرح

وأما مباحث الكتاب فهي في ثمانية عشر باباً وهي (١) باب الأسماء والأفعال كم يكون عددها في الأصل وما يزاد فيهما على الأصل (٢) باب ما تجعله زائداً من حروف الزيادة (٣) باب ما قيس من الصحيح على ما جاء من المعتل من كلام العرب (٤) باب الياء والواو

اللتين هما فاءان (٥) باب من مسائل الياء والواو اللتين هما فاءان (٦) باب ما الواو والياء فيه ثانية وهو موضع العين من الفعل (٧) باب ما لحقته الزيادة من هذه الأفعال من بنات الثلاثة (٨) باب ما جاء من الأسماء ليس في أوله زيادة من الواو والياء اللتين هما عينان (٩) باب ما تنقلب فيه الواو ياء (١٠) باب ما يكسّر عليه الواحد ممّا ذكرنا (١١) باب ما اللام فيه همزة من بنات الياء والواو اللتين هما عينان (١٢) باب الياء والواو اللتين هما لامان (١٣) باب ما تنقلب فيه الياء والواو ليفرق بين الاسم والصفة (١٤) ما تلزم الياء فيه بدل الواو إذا كانت فعلت فيه على أربعة أحرف فصاعداً (١٥) باب التضعيف من بنات الياء نحو حييت وأحييت (١٦) باب التضعيف من بنات الواو (١٧) باب ما ليس من المعتل ولم يجيء على مثاله إلاّ من الصحيح (١٨) باب ما تنقلب فيه تاء افتعل عن أصلها ولا يُتكلم بها على الأصل البتة

وتحت هذه الأبواب فصول كثيرة جدًّا فيها من دقائق التصريف واللغة وتحرير لهجات العرب ووجوه الخلاف بين العلماء وتحليل الألفاظ وبيان مقاييسها وأسرار العربيّة ما برّز فيه ابن جني على المتقدمين وأعجز المتأخرين، وكلها تدور حول تغيير في بنية الكلمة لا لغرض معنويّ طارئ، يقتضي هذا التغيير كتحويل المكبر الى مصغر في نحو كتاب وكتيّب وكتحويل المصدر الى أفعال نحو الضرب تقول منه ضرب يضرب اضرب وهكذا وإنما هذا التغيير لغرض لفظيّ كالإلحاق والتخلّص من التقاء الساكنين والتخلّص من اجتماع الياء والواو وسبق إحداهما بالسكون.

وقد حصر العلماء هذا النوع من التغيير في أبواب واختلفوا في عددها وفي أسمائها وقد اخترت لها هذا العدد وهذه الأسماء وهي الاعلال والتصحيح والزيادة والحذف والقلب والإبدال الصرفيان والتسكين والتحريك والادغام.

وهذه هي بحوث علم التصريف كما يراه المتقدمون ومنهم مؤلفا هذا الكتاب وكما يراه بعض المتأخرين كالإمام ابن مالك فإنّه عقد للتصريف في كتابه التسهيل وفي ألفيته في النحو باباً ذكر تحته هذه البحوث التي يكون التغيير فيها لغرض لفظيّ لا لغرض معنوي

غير أنّ أكثر المتأخرين توسعوا في مدلول علم التصريف فعرفوه التعريف الآتي: التصريف هو تغيير في بنية الكلمة لغرض معنويّ أو لفظيّ. فالأوّل كتغيير المفرد الى التثنية والجمع نحو محمد: تقول فيه محمدان ومحمدون وكتحويل المصدر الى الصفات نحو القول: تقول منه قائل ومقول وقؤول وقوّال وغير ذلك والثاني كتغيير قول وغزو وبيع ورمي وسعا ونحاي الى قال وغزا وباع ورمى وسعاه ونحاه. ودوّنوا هذا العلم بهذا التعريف الواضح

في كتب أجلّها جميعاً الشافية لابن الحاجب . على أنّ الشافية أهملت بعض بحوث القسم الأوّل لأنّ مؤلفها ذكرها في كتابه الآخر في علم النحو المسمى الكافية وذكر في الشافية بحوثاً أخرى ليست من القسمين، ولا هي من علم الصرف، بل من علم الخط يرسم الحروف .

والقول الفصل في هذا هو أن بحوث التغيير في بنية الكلمة لأغراض معنوية بحوث كثيرة جدًّا وهي الحقيقة أولى بها أن تضم الى بحوث علم الاشتقاق . وأن بحوث التغيير في بنية الكلمة لأغراض لفظية كثيرة هي الأخرى وجديرة لكثرتها وتنوعها أن تستقل بعلم وبكتب وبدراسة وبتخصصين بهذه الدراسة وأنّ الجمع بينهما في علم واحد وفي كتاب واحد مخالف لآراء المتقدمين والحذّاق من المتأخرين ، ومخالف لسنة النشوء والارتقاء كل المخالفة ، لأنّ هذه السنة تسير بالعلوم الى التنوّع والانفصال لا الى التجمع والاتصال وهذا هو سرّ رقيها وتقدّمها .

* * *

والكتاب مكتوب على الطريقة السلفية التي سلكها سيبويه في الكتاب وعبد القاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الاعجاز في علم المعاني وأسرار البلاغة في علم البيان كتابة فصيحة خالية من الاصطلاحات الحديثة ومن الأساليب المعقدة .

وقد كان مؤلف المتن إمام عصره في اللغة والأدب والنحو والصرف والرئيس الذي انتهت اليه الرياسة فيها في البصرة وكان معنيًّا كل العناية بعلم الصرف يحرر مسائله ويدارس العلماء إياها ويرشدهم الى الصواب إذا أخطأوا . وكان علم الصرف الى ذلك العهد في طور النشوء والتكون حتى أصبح عامل لواء هذا العلم وحده غير منازع وما زال ، حتى حرر مسائله وجمعها في هذا الكتاب فكان أول كتاب دوّن في هذا العلم وحده فلم يسبقه أحد اليه .

وكان مؤلف الشرح هو الآخر إمام عصره في اللغة والأدب والنحو والصرف والرئيس الذي انتهت اليه الرياسة فيها في بغداد وكان معنيًّا بعلم الصرف عناية خاصة شغلته به طوال حياته لأن السبب الذي حمله ترك التصدّر للتدريس والرجوع الى طلب العلم مرة أخرى وملازمته أستاذه الامام أبا علي الفارسي طالباً دهراً طويلاً ، مسألة صرفية . ولذلك لم يكن في علومه مع علو كعبه فيها جميعاً أكمل منه في علم الصرف ولم يصنف أحد في هذا العلم ولا تكلم فيه أحسن ولا أدق كلاماً منه وقد درس كتاب أبي عثمان المذكور على أستاذه الامام أبي علي الفارسي ثم لم يشرح هذا الكتاب إلاّ بعد أن برع البراعة كلها في علم التصريف ولم يطمع أحد بعده في أن يشرح هذا المتن .

فاذا عرفت نفسي المؤلفين وعلمت أن كتابهما المتن والشرح معاً أول كتاب وآخر

كتاب ألف في هذا العلم بهذا المعنى فلم يسبقا اليه ولم يلحقا فيه. عرفت قدر هذا الكتاب إنه فوق أجل كتب الصرف جميعاً. شهد له بذلك العلماء المتقدمون.

وقد سألت الامام الحافظ الجليل المرحوم محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي الذي كان شاهر النيل حافظ بك ابراهيم رحمهما الله يقول فيه « انه مكتبة متنقلة » لكثرة حفظه وحسن ضبطه. سألت هذا الامام مرة وكنا منصرفين من دار الكتب المصرية أيام كانت في درب الجماميز قبل أن تنتقل الى مبناها الجديد بميدان أحمد ماهر « باب الخلق » ما خير كتاب في علم الصرف ؟ فقال لي رضي الله عنه وأرضاه : الشافية لابن الحاجب وخير منها شرح ابن جني على تصريف المازني ولا يوجد الا عندي : ولعظيم ثقتي بالشيخ وغرامي باستقلال علوم العربية وبخير ما ألف فيها بقيت هذه الاجابة ماثلة بذهني بنصها الآن وقد مضى عليها أكثر من أربعين سنة كأنني سمعتها منذ ساعة.

ولعل أثر وفاة الشيخ الى رحمة الله تعالى ونقل كتبه الى دار الكتب ساوعت الى الاطلاع على هذا الكتاب. غير أني لم أنتفع به لصعوبة في خطه فلما توفي المرحوم أحمد تيمور باشا الى رحمة الله هو الآخر ونقلت كتبه الى الدار اطلعت على نسخته وحينئذ عرفت قدر الكتاب وانتفعت به كثيراً. ولقد ذكرت هذا الكتاب وبينت قدره للعلماء من كبار رجال الدار في خلال هذه المدة الطويلة غير مرة ليطبع ولكنه لم يطبع.

والآن وبعد أكثر من أربعين سنة وقد طال الانتظار وقد الصبر وبعد أن نشرت لمؤلفي الكتاب رحمهما مطولتين في عددي يونيو سنة ١٩٤٦ م وأغسطس سنة ١٩٤٧ م من هذه المجلة الغراء أقدم هذا الكتاب بهذا التعريف إلى من يعنيهم أمر اللغة العربية، الدرة اليتيمة في تاج اللغات الشرقية، وأمر هذين الامامين الجليلين من أئمة اللغة العربية وبخاصة ابن جني الذي ترك أكثر من أربعين مؤلفاً كلها جيد جدير بالطبع ومنها في دار الكتب المصرية عدة مؤلفات وأجدرها بالطبع السريع هذا الكتاب ثم كتاب سر الصناعة في حروف الهجاء وهو آية من آيات علوم العربية ثم كتاب المحتسب في شواذ القراءات وهو الآخر آية أخرى.

ولعل هذه الدعوة تجد قبولاً فيتقدم لطبع هذا الكتاب فرد أو جماعة أو معهد أو شركة فيزدان به المكتبات العربية في أنحاء العالم ويعتز به اللسان العربي.

وبهذا المقال أديت الأمانة التي حملتها منذ أكثر من أربعين سنة واللهم فاشهد.

عبد الله أمين